

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان مُحَمَّدًا عبده ورسوله .
أما بعد:

فإن من أشرف العلوم التي يجب أن يتعلمها الإنسان هي علوم القرآن الكريم ذلك أن القرآن الكريم هو شريعة الله التي أنزلها على رسولنا الكريم مُحَمَّدٍ (ﷺ) والتي ارتضاها سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ، فبين سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الأمور العقائدية وأمور العباد وبين الحلال والحرام وذكرهم بالأمر السابقة ليعتبروا بذلك وبين لهم طريق الحق ورغبتهم فيه وبين لهم طريق الباطل وحذرهم منه ، فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان ويخاطب عقله بالبرهان الساطع والحجة الواضحة ، إن سورة البلد موضوع البحث ، تخاطب تخاطب الإنسان بنفسه وتبين له طرق الخير وطرق الشر وتبين له تبعات ذلك وبما إذا جزء من المخاطبين أو من المعنيون بالخطاب فكان ذلك سبب في إختيار هذه السورة المباركة للبحث .
يتكون البحث من مبحثين : المبحث الاول : يعنى في التعريف بالسورة ، ويتكون من ثلاثة مطالب : المطلب الاول : يعنى بدراسة اسم السورة ، وعدد حروفها وعدد آياتها ومكان ووقت نزولها ، المطلب الثاني : يعنى بأسباب النزول ، المطلب الثالث : يعنى في فضل السورة .

والمبحث الثاني: يعنى بتحليل الآيات ، ويتكون من اربعة مطالب : المطلب الاول :
في معنى القسم ، والمطلب الثاني : يعنى في تحليل الألفاظ ، والمطلب الثالث : في
المعنى العام ، والمطلب الرابع : في اللطائف التفسيرية ، ثم الفائدة .
أما منهجي في البحث فبع ان توصلت الى الخطة النهائية للبحث قمت بجمع مادة
البحث وتدوينها في دفتر خاص لهذا الغرض ووضعت المعلومات في الدفتر حسب
المباحث أو العناوين ، حاولت الوصول الى المصادر ذات الأختصاص والمعتبرة
والتي تفي بالغرض المطلوب ، ونظراً لطبيعة البحث فقد حاولت الاختصار قدر
الإمكان وتجنبنا الإطالة والتوسع في البحث ، ومن المعوقات التي واجهتني قلة
خبرتي في معرفة المصادر وكذلك ترتيب مادة البحث حسب المباحث وضمن
المباحث بما يُظهر البحث بصورة مقبولة إلى حدٍ ما .

وأنا إذ اقدم هذا البحث اسأل الله أن يلهمنا الصواب ويقبل منا صالح العمل ويحببنا
الخطأ والزلل ويغفر لنا ، وحسبي حُسن النيةِ والله ولي التوفيق .

الباحث

المبحث الاول بين يدي السورة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : التعريف بالسورة.

المطلب الثاني : أسباب النزول .

المطلب الثالث : فضل السورة .

المبحث الاول

بين يدي السورة

المطلب الاول : التعريف بالسورة :

اولاً: اسم السورة : (سميت هذه السورة في ترجمتها في صحيح البخاري (سورة لا اقسام) وسميت في المصحف وكتب التفسير (سورة البلد) وهو أما على حكاية اللفظ الواقع في اولها ، وأما لأرادة البلد المعروف وهو مكة (^(١)).

ومعنى اسمها لا اقسام : قال الاخفش لا صلة ، وقال هي بمعنى ألا ، روى الحسن عن مجاهد قال: لا رد لكلامهم ثم ابتداء

بالقسم ^(٢) ، وأقسَمَ في اللغة ، حَلَفَ ، والقسم بفتحيتين اليمين ، وقَاسَمَهُ حلف له ^(٣).

ومعنى اسمها سورة البلد ، البلد في اللغة: هو المكان المُخْتَطُّ المحدود والمستأنس بأجتماع قُطَّانه فيه وإقامتهم فيه، وجمعه بلاد وبلدان ،وبَلَدُ الرجل إذا لزم البلد^(٤) ، وسميت هذه السورة بسورة البلد تكريماً وتشريفاً لاكرم البلدان البلد الحرام وهي مكة

المكرمة_البلد الطيب_والامن ، وآيتها الكريمة الاولى (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) وبعدها (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)، أي اقسام سبحانه بهذا البلد الكريم وأنت يا محمد حالٌ به^(٥).

(واعلم إن فضل مكة معروف، فإن الله تعالى جعلها حراماً آمناً، فقال في المسجد الذي فيها(وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً)^(٦)،وجعل ذلك المسجد قبلةً لاهل المشرق

(١) تفسير التحرير والتنوير/محمد عاشور: ٣٤٥/٣٠ (ط الدار التونسية للنشر).

(٢) ينظر إعراب القرآن/للنحاس: ٧٠٣/٣ (ط العاني -بغداد).

(٣) ينظر مختار الصحابي/أبي بكر الرازي : ص٥٣٥ (ط دار الرسالة-الكويت)

(٤) المصدر نفسه: ص ٦٣ .

(٥) ينظر بلاغة القرآن الكريم في اعجاز إعراباً وتفسيراً بـايجاز(المجلد العاشر): ٦١٤/١٠.

(٦) سورة آل عمران آية: ٩٧.

والمغرب فقال: (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)^(١)، وشرف ابراهيم بقوله: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)^(٢)، وأمر الناس بحج البيت فقال: (وَبِاللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)^(٣) وقال في البيت : (وَإِذْ جَعَلْنَا
الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ)^(٤) ، وقال (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا)^(٥)، وحرّم فيه الصيد ،
وجعل البيت المعمور بأزنة، ودحيت الدنيا من تحته ، فهذه الفضائل واكثر لما اجتمعت في مكة لاجرم أقسم
الله تعالى بها)^(٦)

ثانياً: ترتيبها وعدد كلماتها وحروفها وعدد آياتها :

ترتيبها التسعون من سور القرآن الكريم ، وعدد آياتها عشرون ^(٧) ، وروي أن عدد آياتها عشرون ، وعدد
كلماتها إثنان وثمانون ، وعدد حروفها ثلاث مائة وعشرون حرفاً^(٨).

وقد عدت الخامسة والثلاثون في عدد نزول السور ، نزلت بعد سورة (ق) وقبل سورة (الطارق) ، وعدد
آياتها عشرون آية^(٩) (وهي عشرون آية بلا خلاف)^(١٠) وترتيبها في المصحف بعد سورة (الفجر) وقبل
سورة (الشمس) في الجزء الثلاثين من أجزاء القرآن الكريم.

(١) سورة البقرة آية: ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة آية: ١٢٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية: ٩٧ .

(٤) سورة البقرة آية: ١٢٥ .

(٥) سورة الحج آية: ٢٦ .

(٦) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي : ١٦٣/١٦ (ط دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان).

(٧) ينظر نظم الدرر وتناسب الآيات والسور / البقاعي ، الجزء الثاني والعشرون: ٤٥/٢٢ .

(٨) ينظر لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن: ٢٢٩/٦ .

(٩) التحرير والتنوير / محمد بن عاشور: ٣٤٥/٣٠ .

(١٠) روح المعاني الألويسي: ١٦ / ٢٣٩ (ط المكتبة التجارية _ مصطفى احمد باز).

ثالثاً: مكان ووقت نزولها:

(مكية في قول الجمهور بتمامها ، وقيل مدنية بتمامها ، وقيل مدنية إلا أربع آيات من اولها ، وإعترض كلا القولين بأن يأباهما قوله تعالى : (بِهَذَا الْبَلَدِ) قيل: ولقوة الاعتراض إدعى الزمخشري الإجماع على مكيتها)^(١)

وقيل (هذه السورة مكية في قول الجمهور ، وقيل مدنية)^(٢)

(قال الواسطي : أن المراد بالبلد المدينة)^(٣)

(وهي مكية وحكى الزمخشري والقرطبي الاتفاق عليه ، واقتصر عليه معظم المفسرون)^(٤)

هذه السورة مكية ، وصفاتها نفس صفات السور المكية ، من تثبيت العقيدة والايان ، والتركيز على الايمان بالحساب والجزاء ، والتميز بين الابرار والفجار^(٥)

ومن صفات القرآن المكي أو السور المكية :

(الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، قصر الفواصل مع قوة الألفاظ ، وإيجاز العبارة بما يصح الأذان

ويشدد قرعه على السامع ، ويصعق القلوب ، ويؤكد المعنى بكثرة القسم)^(٦)

وسورة البلد تحمل هذه الصفات من صفات السور المكية ، والذي أراه أنها مكية لذهاب كثير من المفسرين

الى ذلك ، فقد قال الشوكاني في فتح القدير (وهي مكية بلا خلاف ، وأخرج الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي

(١) روح المعاني / الألويسي : ٢٣٩/١٦ .

(٢) الأبحر المحيط في التفسير / ابي حيان الأندلسي : ٤٧٩/١٠ (ط دار الفكر) .

(٣) فتح القدير / الشوكاني : ٥٥٤/٥ (ط دار الكتب العلمية _ بيروت) .

(٤) التحرير والتنوير / محمد بن عاشور : ٣٤٥/٣٠ .

(٥) ينظر صفوة التفاسير / محمد على الصابوني : ٣/ ٥٦٠ (ط دار القرآن الكريم _ بيروت _ ١٤٠١ هـ) .

(٦) مباحث في علوم القرآن / مناع القطان (الطبعة الحادية والعشرون ، ١٩٨٦ م، ط دار الرسالة) .

عن ابن عباس قال: نزلت لا أقسم بهذا البلد في مكة ، واخرج ابن مردويه عن ابن النربير مثله(١)
قال : القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن أن السورة نزلت بمكة باتفاق(٢)
وقال: أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط (هذه السورة مكية في قول الجمهور)(٣)
وذكر الألويسي في روح المعاني (في خبر رواه عبد بن حميد ما هو ظاهر في أن الآية نزلت بعد ضرب أبو
برزة عنق ابن خطل يوم الفتح)(٤)

(١)فتح القدير / الشوكاني :٥/٥٥٣ (ط دار الكتب العلمية _ بيروت)

(٢)ينظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ١٠ / ٣٠٨ (ط دار الحديث _ القاهرة)

(٣)البحر المحيط/ أبو حيان الاندلسي: ١٠/٤٧٩.

(٤)روح المعاني الألويسي : ١٦ / ٢٤٠.

المطلب الثاني : أسباب النزول :

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)^(١)

(قال الكلبي أن هذا نزل في رجل من بني جمع كان يقال له أبو الأشدين وكان يأخذ الأديم العكاضي فيجعله تحت قدميه ويقول: من أزالني عنه فله كذا ، فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تنزل قدماه ، وكان من اعداء النبي عليه الصلاة والسلام، وفيه نزل (أَيَحِبُّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)^(٢) ، يعني لقوته ، روي عن ابن عباس (في كَبَدٍ) أي شديد يعني شديد الخلق ، وكان من اشد رجال قريش ، وكذلك ركانه ابن هاشم بن عبد المطلب ، وكان مثلاً في البأس والشدة)^(٣) (أيحسبُ) أبا الأشدين من قومه أن لن يقدر عليه احد يعني أيظن الشديد في نفسه أنه لا يقدر عليه الله ، وقيل هو الولد بن المغيرة المخزومي)^(٤)

(وقيل نزلت بالحرث بن عامر بن نوفل ، وكان إذا أذنب إستفتى النبي عليه الصلاة والسلام فيأمره بالكفارة ، فقال: لقد اهلكتما لألبداً في الكفارات والتبعات منذ تبعت محمداً)^(٥)

(وقيل نزلت قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) في الوليد بن المغيرة ، وقيل هو أبو جهل ، وعن مقاتل : أنها نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل زعم أنه انفق مالاً على إفساد أمر النبي عليه الصلاة والسلام ، وقيل هو عمرو بن عبد ود الذي اقتحم الخندق في يوم الأحزاب ليدخل المدينة فقتله علي بن أبي طالب خلف الخندق ، وليس لهذه الأقوال شاهد من النقل الصحيح ولا يلائم القسم ولا السياق)^(٦)

(١) سورة البلد آية: ٤ .

(٢) سورة البلد آية: ٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ٣١١ / ١٠ .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن : ٤٣٠ / ٦ .

(٥) البحر المحيط / ابن حيان الأندلسي : ٤٨٢ / ١٠ .

(٦) التحرير والتنوير / محمد بن عاشور : ٣٥٠ / ٣٠ .

المطلب الثالث: فضل السورة :

فضل السورة من فضل سور القرآن الكريم باعتبارها إحدى سور القرآن الكريم وجلالها من جلال القرآن الكريم وشرفه وسموه ورفعته وهيئته في النفوس ، يقول الله سبحانه وتعالى في حق القرآن الكريم : (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)^(١) ويقول سبحانه : (قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)^(٢) ويقول النبي الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)^(٣)

ويقول عليه الصلاة والسلام : (إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)^(٤)

عن النبي عليه الصلاة والسلام (من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله سبحانه وتعالى الأمان من غضبه يوم القيامة)^(٥)(٦)

عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : من قرأها أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة ، وعن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي عبدالله ، قال من كان قرآنه في الفريضة لا أقسم بهذا البلد كان في الدنيا معروفاً أنه من الصالحين وكان في الآخرة معروفاً أن له الله مكاناً وكان من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين^(٧)

(١) سورة البقرة آية: ١-٢.

(٢) سورة الأسراء آية: ٨٨.

(٣) رياض الصالحين / النووي : ٣١٩ (ط مكتبة التحرير)

(٤) المصدر نفسه: ٣١٩.

(٥) الحديث

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / البيضاوي : ٥٩٨/٢ (طباعة دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان).

(٧) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي: ٥٩٨/٩ (ط دار إحياء التراث العربي _ بيروت)

المبحث الثاني

تحليل الآيات

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : القسم معناه - أقوال العلماء فيه - .

المطلب الثاني : ويشتمل على :

أ- تحليل الألفاظ .

ب- الأعراب .

ج- القرآءات .

د- أوجه البلاغة .

المطلب الثالث : المعنى العام .

المطلب الرابع : اللطائف التفسيرية .

المطلب الأول : القسم ، معناه ، أقوال العلماء فيه .

القسم في اللغة: أَسَمَ ، حَلَفَ واصله من (القَسَامَةِ) وهي الإيمان تُقَسَمُ على الأولياء في الدم و(القَسَم) بفتحين ، و(قاسمه)حلف له^(١)

ومعنى القسم (هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء ، بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه ، أو تنويه لغيره ، أو ذم لغيره ، أو جارياً مجرى الغزل والترقق ، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد ، كقوله تعالى: (فَوَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَمَا أَنْتُمْ تَنْطُقُونَ)^(٢)، أقسم سبحانه وتعالى بقسم موجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدره، وأجل عظمة)^(٣).

(قوله لا أقسم ، قال أبو عبيدة وجماعة من المفسرين : أن لا زائدة والتقدير (أقسم)، قال السمرقندي : أجمع المفسرون أن معنى (لا أقسم) (أقسم) ، واختلفوا في تفسير لا ، فقال بعضهم هي زائدة، وزيادتها جارية في كلام العرب، كما في قوله تعالى:(مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)^(٤)، يعني أن تسجد ، ومن هذا قول الشاعر:

تذكرت ليلي فأعتدتني صباباً وكاد صميم القلب لا ينقطع

وقال بعضهم هي رد لكلامهم حيث انكروا البعث كأنه قال: ليس الأمر كما ذكرت (أقسم)، وذكر المفسرين وهذا قول الفراء وكثير من النحويين ، كقول القائل، لا والله، فلا رد لكلام قد تقدمها ، وقيل هي لنفي القسم، بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به، وتقخيمه، كان معنى لا لنفي القسم، بل لنفي ما بأقسامى به حق اعظامه، فإنه حقيقٌ بأكثر من ذلك، وقيل أنها لنفي الأقسام لوضوح الأمر، والقول الأول هو أرجح الأقوال^(٥).

(١) ينظر مختار الصحاح/أبي بكر الرازي: ٥٣٥.

(٢) سورة الذاريات آية: ١٢ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن/ السيوطي : ٣/٣٩٩ (الطبعة الأولى ، مؤسسة النداء).

(٤) سورة الأعراف آية: ١٢ .

(٥) فتح القدير/ الشوكاني : ٤١٧/٥ .

(قال القشيري: قوله (لا) رد لما توهم الأتسان المذكور في هذه السورة، المغرور بالدنيا، أي ليس الأمر كما يحسبه، من أنه لن يقدر عليه احد، ثم أبتدأ بالقسم، و(البلد) هي مكة، أجمعوا عليه، أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه، لكرامتك علي وحيي لك، وقال الواسطي: أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانتك فيه حياً، وبركتك ميناً، يعني المدينة، والأول أصح، لأن السورة نزلت بمكة باتفاق ، يعني في المستقبل ، مثل قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)^(١))

ومثله واسع في كلام العرب ، تقول لمن تعده الاكرام والحباء: أنت مكرم محبوب، وهو في كلام الله واسع، لأن الأحوال المستقبلية عنده كالمحاضرة المشاهدة ، وكفاك دليلاً قاطعاً أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال محال : أن السورة باتفاق مكية قبل الفتح)^(٢).

(١) سورة الزمر آية: ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي : ٣٠٨/١٠.

المطلب الثاني: ويشمل

أ- تحليل الألفاظ:

- ١- أقسِمُ: أقسَمَ حَلَفَ ، واصله من القَسَامَةِ وهي من الإيمان ، تقسمُ على الأولياء في الدم، والقَسَمَ بفتحين اليمين ، وقاسَمَ حلف له^(١)
- ٢- البَلَدُ: المكان المختلط المحدود المستأنس باجتماع قُطانه فيه وإقامتهم فيه ، وجمعه بلاد وبلدان ، وسميت المفازة بلدَ لكونها موطن الوحشيات والمقبرةُ بلدًا لكونها موطنًا للأموات ، وبلد الرجل إذا لزم البلد^(٢)
- ٣- جِل: حَلَّ العقدة فتحتها وبابه رَدٌّ، وَحَلَّ بالمكان من باب رد، وحلولاً ومحلاً أيضاً بالفتح ، والمحل أيضاً المكان الذي يُحلُّ به، والجِل بالكسر الحلال وهو ضد الحرام ،وقومٌ جِلَّةٌ أي نزول وفيهم كثرة، وحللت نزلت^(٣)
- ٤- ووالد وما ولد : الوالد الأب والوالدة ألام وهما (الوالدان) وشاةُ والداي حامل^(٤) والولد المولود يقال للواحد والجمع، والصغير والكبير، قال ابو الحسن الولد هو الأبن والأبنة^(٥)
- ٥- خلقنا: الخلق اصله التقدير المستقيم ، ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل ولا اقتداء^(٦)
- ٦- الإنسان : (الأنس) البشر الواحد ، ويقال للمرأة أيضاً (إنسان) ولا يقال (إنسانة)^(٧)

(١) ينظر مختار الصحاح / ابي بكر الرازي :ص ٥٣٥ .
(٢) ينظر المفردات في غريب القرآن/الأصفهاني: ٥٩ .
(٣) المصدر نفسه/ صفحة ١٢٨ .
(٤) ينظر مختار الصحاح / لابي بكر الرازي: ٧٣٥ .
(٥) ينظر المفردات لغريب القرآن/ للأصفهاني : ٥٣٢ .
(٦) المصدر نفسه:ص ١٥٧ .
(٧) ينظر مختار الصحاح/ لأبي بكر الرازي:ص ٢٨ .

٧- كَبِدَ: الشدة والمشقة وأصه من كبد الرجل كبداً فهو أكبد، وإذا وجعه كَبِدُهُ وانتفخت فأستعمل في كل تعب ومشقة، ومنه المكابدة^(١)

٨- أحد: يستعمل على ضربين أحدهما في النفي فقط، والثاني في الإثبات فأما المختص في النفي فلأستغراق جنس النطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق^(٢)

٩- لُبْدًا: (اللُبْد) بوزن الجلد واحدة (اللُبْد) و(اللَّبْد) أخص منه ، قلت وجمعها (لَبْد) (واهلكت مالا لبداً) أي جمعاً ، ويقال الناس لبدا أي مجتمعون^(٣)

١٠- نجعل: جعل لفظ عام في الأفعال كلها، وهو اعم من فَعَلَ و صَنَعَ ، ويأتي بمعنى ايجاد الشيء من الشيء ، ويأتي بمعنى تصير الشيء على حالته دون حاله^(٤)

١١- عينين: العين الجارحة ، وفلان بعيني أي احفظه وأرعيه^(٥) ، والعين عين الماء، وعين الشيء خياره، وعين الشيء نفسه^(٦)

١٢- اللسان: جارحة الكلام، و(اللِّسَن) بفتحيتين والفحامة، وفلان (لسان) القوم إذا كان المتكلم عنهم^(٧)

١٣- شفتين: (الشَّفَّة) أصلها شَفَيْهه لأن تصغيرها (شُفَّهُه) وجمعها (شِفَاه) بالهاء، و(المشافهة)المخاطبة من فيك الي فيه^(٨)

(١) ينظر البحر المحيط/ أبي حيان الأندلسي: ٤٧٨/١٠.

(٢) ينظر المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني : ص ١٢.

(٣) ينظر مختار الصحاح / أبي بكر الرازي: ص ٥٨٩.

(٤) ينظر المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني: ص ٩٤.

(٥) المصدر نفسه: ص ٣٥٥.

(٦) ينظر مختار الصحاح/ أبي بكر الرازي: ص ٤٦٦.

(٧) المصدر نفسه: ٥٩٧.

(٨) المصدر نفسه: ٣٤٢.

- ١٤- هديناه: هدى، الهداية دلالةً بلطف^(١)، والهدى: الرشاد والدلالة، يذكر ويؤنث^(٢).
- ١٥- النجدين: (النَّجْدُ) ما ارتفع من الأرض، والنجد الطريق المرتفع، والنجدين أي الطريقين طريق الخير والشر^(٣)، (والنجد: العنق وجمعه نجد، وبه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة، والنجد الطريق العالي)^(٤).
- ١٦- أفتحم: (الافتحام الدخول في الأمر الشديد، يقال قحم يقتحم قحوماً، وتقمم تقحما، إذا ركب القحم، وهي المهالك والأمور العظام)^(٥).
- ١٧- العقبة: (طريقٌ في الجبل وعر، والجمع العقب والعقاب)^(٦).
- ١٨- فَكٌّ: (فَكٌّ الشيء خلصه، والفَكُّ اللَّحْي، وفَكُّ الرقبة أعتقها)^(٧).
- ١٩- رقبة: (الرَّقِبة) مؤخر أصل العنق، وجمعها رَقَبٌ ورقبات ورقاب، والرَّقِبة ايضاً المملوك^(٨).
- ٢٠- مسغبة: (السغب الجوع العام، وقد يقال سغب الرجل إذا جاع)^(٩).
- ٢١- يتيماً: اليتيم انقطاع الصَّبِيِّ عن أبيه قبل بلوغه، وفي سائر الحيوانات قَبْلَ أمه، وكل فرد يتيم، يقال درةً يتيمه، وقيل بيت يتيم تشبيهاً بالدرة اليتيمة^(١٠).

(١) ينظر المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني: ص ٥٣٨.
(٢) ينظر مختار الصحاح / أبي بكر الرازي: ص ٢٩٢.
(٣) ينظر مختار الصحاح / أبي بكر الرازي: ص ٦٤٦.
(٤) البحر المحيط / أبي حيان الأندلسي: ٤٧٩/١٠.
(٥) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي: ١٦٧/١٦.
(٦) المصدر نفسه: ١٦٧/١٦.
(٧) ينظر مختار الصحاح / أبي بكر الرازي: ص ٥٠٩.
(٨) المصدر نفسه: ص ٢٥٢.
(٩) البحر المحيط / أبي حيان الأندلسي: ٤٧٩/١٠.
(١٠) ينظر المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني: ص ٥٥٠.

٢٢- مقربة: قَرُبَ بالضم قُرباً بضم القاف أي دنا ، نقول بينهما قرابةٌ وقُربٌ وقُربى ومَقْرَبَةٌ ، وهو قريبي وذو قرابتي وهو أقربائي وأقاربي ، وفي النسب يؤنث بلا خلاف (١).

٢٣- مسكينا: المسكين الذي لا شيء له ، وقال الأصمعي: المسكين أحسنُ حالاً من الفقير ، وقال يونس: الفقير احسن حالاً من المسكين ، وقال ابن الأعرابي : هما في حالة واحدة(٢).

٢٤- متربة: (ترب الرجل إذا افتقر و لسق بالتراب ، وأترب إذا إستغنى وصار ذا مالٍ كالتراب)(٣) ، قال الواحدي : (المتربة مصدر من قولهم ترب يترب ومتربة ، مثل مسغبة، إذا افتقر حتى لسق بالتراب)(٤).

٢٥- الصبر: الإمساك في ضيق ، فيقال : صَبَرْتُ الدابة إذا حبستها بلا علف، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه، وسمي الصوم صبراً(٥).

٢٦- المرحمة: الرَّحمة الرقة والتعطف والمرحمة مثله ، وقد رَجِمَه بالكسر (رَحْمَةً)و(مَرَحْمَةً) ايضاً، وتَرَحَّمَ عليه(٦).

٢٧- أصحاب: صحب : صاحب الملازم إنساناً كان او حيواناً او مكاناً او زماناً، ولا فرق أن تكون مصاحبته بالبدن وهو في الأصل والأكثر ، أو بالعناية والهمة ، والأصحاب للشيء الانقياد له(٧).

٢٨- الميمنة: (اليمين أو اليمين)(٨).

(١)ينظر مختار الصحاح / أبي بكر الرازي : ص ٥٢٧.

(٢)ينظر مختار الصحاح / أبي بكر الرازي : ص ٥٠٨.

(٣)البحر المحيط / ابن حيان الأندلسي : ٤٧٩/١٠.

(٤)التفسير الكبير / أبي فخر الرازي : ١٦٩/١٦.

(٥)ينظر المفردات في غريب القرآن/الأصفهاني:ص٢٧٤.

(٦)ينظر مختار الصحاح/أبي بكر الرازي:ص٢٣٨.

(٧)ينظر المفردات في غريب القرآن/ الأصفهاني:ص٢٧٥.

(٨)أنوار التنزيل و أسرار التأويل / البيضاوي:٥٩٨/٢.

٢٩- كفروا: الكفّر ضد الأيمان ، والكفر جحود النعمة وهو ضد الشكر ، والفّر بالفتحة التغطية وبابه ضرب^(١).

٣٠- المشئمة: (الشمال أو الشؤم)^(٢).

٣١- نار: (نار مؤنثه وهي من الواو ياء لكسرة قبلها ، وبينهم (نائرة) أي عداوة وشحناء)^(٣).

٣٢- مؤصدة: (أوصدت الباب وأصدته إذا أغلقته و أطبقته ، قال الشاعر: تحن إلى جبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب

صنعاء مؤصدة)^(٤)، (وتقرأ بالهمز وقيل معناها بالهمز المطبقة ، وتقرأ بالواو الساكنة من غير همز وقيل معناها متغير همز المغلقة)^(٥).

(١) ينظر مختار الصحاح/ أبي بكر الرازي:ص٧٣٥.

(٢) انوار التنزيل و أسرار التأويل / البيضاوي:٥٩٨/٢.

(٣) مختار الصحاح/ أبي بكر الرازي:ص٦٨٥.

(٤) البحر المحيط/ أبي حيان الأندلسي : ٤٧٩/١٠.

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه/ محيي الدين الدرويش: ٣١٨/٨.

ب_ الإعراب:

قال النحاس: في كتابه إعراب القرآن في اعراب (لا اقسام).

(لا: قال الاخفش لا صلة ، وقال هي بمعنى (ألا) ^(١) ، وقالوا إنها صلة مثلها في (لئلا يعلم أهل الكتاب)

واعترضوا عليه بأنها إنما تزداد في وسط الكلام لا في أوله ، والمعنى أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له ^(٢).

(وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)

(البلد: بدل من هذا ، والواو حالیه ، أو اعتراضية ، وأنت مبتدأ ، وحلٌ خبره ، وبهذا متعلقان بحل ، والبلد،

بدل ، وأختار أزمخشري أن تكون الواو اعتراضية ^(٣)).

(وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ)

(عطف على القسم السابق ، والمراد بالوالد آدم ، وما: حرف عطف على والده، وجملة ولد صلة ، أي ذرية ^(٤)).

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ).

(الجملة جواب لقسم ، والام واقعة في الجواب ، وقد حرف تحقيق خلقنا: فعل وفاعل ، والإنسان مفعول به ،

وال فيه للجنس لأنه أراد جنس الإنسان ، في كبد : متعلقان بمحذوف على أنها حال من الإنسان أي مكابداً

للمشاق منتصباً على قدميه ، ^(٥)).

(أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَفْقِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)

(الهمزة للإنكار والتوبيخ ، ويحسب : فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر يعود على الإنسان ، أو

بعض صناديد قريش ، وأن: مخففة من الثقيلة ،

(١) إعراب القرآن / النحاس: ٣/٣٠٧.

(٢) ينظر إعراب القرآن وبيانه/محي الدين الدرويش: ٣١٨/٨.

(٣) إعراب القرآن وبيانه/ محي الدين الدرويش ٣/٣١٨.

(٤) أعراب القرآن وبيانه/ محي الدين: ٣٢٠/٨.

(٥) أعراب القرآن وبيانه/ محي الدين: ٣٢١/٨.

واسمها ضمير الشأن محذوف ، ولم :حرف نفي وقلب وجزم ، ويره: فعل مضارع مجزوم ويلم ، وأحد: فاعل يقدر) (١)

(يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَّا بُدَاً)

(الجملة حالية أو استئنافية ، والقول على سبيل الفخر المباهاة ، وجملة أهلكت مقول القول ، وما لَّا مفعول به ، ولبدا نعت) (٢).

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ)

(الهمزة للاستفهام التقريري ، لم: حرف نفي وجزم وقلب ، ونجعل: فعل مضارع مجزوم بلم ، وله متعلقات بنجعل لأنها بمعنى خلق ، وعينين: مفعول به ، ولساناً وشفتين :عطف على عينين) (٣).

(وَهَدَيْنَا النُّجْدَيْنِ)

(هديناه: فعل ماضي ، وفاعل ، ومفعول به ، النجدين: مفعول ثانٍ حذفته منه الى على قول البصريين ، وعند الكوفيين إنه

ضرف فعل امام وقدام) (٤).

(فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ)

(الفاء: عاطفة ، ولا: نافية ، قال الزمخشري هي بمعنى لا متكررة في المعنى ، اقتحم العقبة: فعل ماضي وفاعله ضمير

مستتر تقديره هو ، اي القائل ومفعول به ، (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) الوا اعتراضية ، ما: اسم استفهام في محل

رفع مبتدأ، وجملة أدراك خبر ما ، وما اسم استفهام مبتدأ ، والعقبة خبر ، والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام

في محل نصب سدت مسد مفعول ادراك الثاني ، والجملة معترضة مقحمة لبيان العقبة مقررة لمعنى

الإسهام) (٥).

(١) ينظر اعراب القرآن بيانه/محي الدين الدرويش: ٣٢٢/٨.

(٢) أعراب القرآن وبيانه/ محي الدين: ٣٢٢/٨.

(٣) أعراب القرآن وبيانه/ محي الدين: ٣٢٢/٨.

(٤) إعراب القرآن/ النحاس ت ٣٣٨ هـ ٦/٣ .

(٥) ينظر اعراب القرآن بيانه/محي الدين الدرويش: ٣٢٣/٨.

(فَكُ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ)

(فك رقبة: خبر لمبتدأ مضمرة ، أي هو فك ، والتقدير وما هو اقتحام العقبة هو فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة).

أو إطعام: عطف على فك رقبة، وفي يوم: متعلقان بإطعام ، ذي مسغبة: نعت يوم ، يتيماً: مفعول لإطعام على إنه مصدر استوفى شروط النصب ، ذا مقربة: نعت ليتيماً ، أو: حرف عطف ، مسكيناً: عطف على يتيماً ، وذا متربة: نعت لمسكيناً^(١)

(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)

(ثم: حرف عطف يفيد التراخي في الرتبة ، لأن الإيمان هو الاصل ، والاسبق ، ولا يتم عمل الآية ، كان: فعل ماضي ناقص

، واسمها مستتر يعود عليه ، من الذين: خبرها ، وجملة آمنوا: صلة ، تواصلوا: عطف على الصلة داخل في حيزها ،

بالصبر: متعلقان تواصلوا ، وتواصلوا بالمرحمة: عطف ايضاً^(٢).

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُؤْمِنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ)

(اولئك: مبتدأ ، وأصحاب المشئمة: خبره ، والجملة خبر الذين ، عليهم: خبر مقدم ، نار: مبتدأ مؤخر ، مؤصدة: صفة لنار ،

والجملة خبر ثان ، ولك أن تجعلها استئنافية^(٣).

(١) إعراب القرآن وبيانه / محي الدين درويش: ١٢٣/٨.

(٢) إعراب القرآن / محي الدين درويش: ١٢٤/٨.

(٣) إعراب القرآن / محي الدين درويش: ١٢٤/٨.

ج_ القراءات:

(قرأ الجمهور (لا أُقسِمُ) وقرأ الحسن^(١) والأعمش^(٢) (لا أُقسِمُ) من غير الألف)^(٣).

(قرأ الجمهور (لَبْدًا) بضم الـام وفتح الباء ، وقرأ ابو جعفر^(٤) بشد الباء وعنه وعن زيد بن علي^(٥) (لَبْدًا) بسكون الباء ،

وعن مجاهد^(٦) بضمها)^(٧).

(١) الحسن: أبو سعيد الحسن بن الحسين بن يسار البصري . إمام أهل البصرة ، قرأ على حطان بن عبدالله

الرقاشي وعلى أبي العالية (ت ١١٠هـ) ، ينظر إعراب القرآن/ النحاس: ٨٠٥/٣.

(٢) الأعمش : سليمان بن مهران الاسدي بالولاء ، الملقب بالأعمش ، تابعي مشهور ولد بالكوفة (٦١هـ) ، كان

عالماً بالقرآن والحديث والفرائض ، توفي بالكوفة (١٤٨هـ) ، ينظر الأعلام للزركلي: ١٣٥/٣ .

(٣) فتح القدير / الشوكاني: ٥٥٣/٥ .

(٤) أبو جعفر: هو يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، كنيته أبو جعفر المدني ، أحد الشعراء العشر ، عرض

القرآن على مولاه عبدالله بن عايش وعلى ابو هريرة وعلى ابن عباس (لرضي الله عنهم) توفي سنة (١٣٦هـ)

، ينظر أعلام الفكر الإسلامي/ محمد فكري زقزوق: ٢١٥/٣ .

(٥) زيد بن علي :ولد الامام زيد بن علي سنة (٧٩هـ) وأخذ العلوم من أبيه علي زين العابدين ثم عن أخيه

محمد الباقر ، كان من أعلم الناس بقراءات القرآن ، قتل شهيداً سنة (١٢٢هـ) ، ينظر موسوعة أعلام الفكر

الإسلامي / مجمد حمدي زقزوق: ٤٣٣/٣ .

(٦) مجاهد:

(٧) البحر المحيط/ ابي حيان الأندلسي: ٤٨٢/١٠ .

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ)

(قرأ الحسن^(١) وأبو رجاء^(٢) وأبو عمر^(٣) وابن كثير^(٤) والكسائي^(٥) (فَكُّ رَقَبَةً أَوْ اطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) واختار الفراء^(٦)

هذه القراءة^(٧).

وروي عن الحسن البصري ، وأبي رجاء أنهما قرء (واطعمَ في يوم ذا مسغبة) قال الفراء: هو صفة ليتم أي يتيماً ذا مسغبة،

قال ابو جعفر^(٨) الغلط في هذا بين فإنه لا يجوز أن تتقدم الصفة على الموصوف^(٩) وقرأ السبعة (فَكُّ) مرفوعاً، رغبة

(١) الحسن: أبو سعيد الحسن بن الحسين بن يسار البصري . إمام أهل البصرة ، قرأ على حطان بن عبدالله الرقاشي وعلى أبي العالية (ت ١١٠ هـ) ، ينظر إعراب القرآن / النحاس: ٨٠٥/٣.

(٢) ابو رجاء: أبو رجاء العطاردي عمران بن يتم البصري التابعي ، أسم في حياة النبي (صل الله عليه وسلم) وعرض القرآن على ابن عباس(ت ١٠٥ هـ) ينظر إعراب القرآن / النحاس : ٨٠٥/٣.

(٣) أبو عمرو: أبو عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة، قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة ، ولد بمكة سنة(٦٨ هـ) وتوفي فيها سنة(١٥٤ هـ) ينظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي / محمد حمدي زقزوق: ٧٨١/٣.

(٤) ابن كثير: هو أبا سعيد عبدالله ابن كثير، نال مكانة كبيرة في القراءة ، والأقراء بمكة، أحد القراء السبعة، ولد بمكة(٤٥ هـ) وتوفي سنة(١٢٠ هـ) ينظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي / محمد حمدي زقزوق: ٨٤٩/٣.

(٥) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبدالله، كنيته أبو الحسن ، نشأ بالكوفة ونال العلم حتى اصبح إمام القراءات واللغو والنحو ولد سنة(١٩ هـ) وتوفي سنة(١٨٩ هـ) ينظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي / محمد حمدي زقزوق: ٨٥٩/٣.

(٦) الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، بلغ مكانة عظيمة بين النحاة ومنزلة عظيمة بين أعلام اللغة، فهو أعلم علماء الكوفة بالنحو بعد الكسائي وقد أخذ علمه من الكسائي ، ولد بالكوفة (١٢٤ هـ) وتوفي بطريق مكة (٢٠٧ هـ) ينظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي / محمد حمدي زقزوق: ٧٩٦/٣.

(٧) ينظر إعراب القرآن / النحاس: ٧٠٩/٣.

(٨) ينظر البحر المحيط/أبي حيان الأندلسي: ٤٨٣/١٠.

(٩) ينظر إعراب القرآن / النحاس: ٤٨٣/٣.

مجروراً ، وإطعام: مصدر منون معطوف على فك' ومن قرأ فك بالرفع فهو تفسير لاقتحام العقبة ، (وما أدرك ما اقتحام العقبة)^(١).

(وقرأ أبو عمرو^(٢) وحمزة^(٣) وحفص^(٤) (مؤصدة) بالهمزة هنا وفي وفي الهمز ، فيظهر أنه من (أصدت)، وقيل: أن يكون من (أوصدت) وهمز على حد من قرأ بالسوق مهوز)^(٥).

د - أوجه البلاغة في السورة:

ذكر الصلابي في كتابه صفوة التفاسير من أوجه البلاغة ما يلي:

١- (زيادة (لا) لتأكيد الكلام ، وهو مستفيض من كلام العرب (أقسم بهذا البلد) أي أقسم بهذا وفائدتها تأكيد القسم ، كقولك لا والله ما ذاك ، كما تقول أي والله)^(٧).

(١) ينظر البحر المحيط/أبي حيان الأندلسي: ٤٨٣/١٠.

(٢) أبو عمرو: أبو عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة، قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة ، ولد بمكة

سنة(٦٨ هـ) وتوفي فيها سنة(١٥٤ هـ) ينظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي/ محمد حمدي زقزوق: ٣/٧٨١.

(٣) حمزة: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، الإمام القدوة ، شيخ القراء ، سمي بالزيات لأنه كان

يجلب الزيوت من العراق ، أحد القراء السبعة ، كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله حافظاً للحديث بصيراً

بالفرائض والعربية ، ولد سنة (٨٠ هـ) وتوفي سنة (١٥٦ هـ) ينظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي/محمد

حمدي زقزوق: ٣/٣٠٢.

(٤) حفص: حفص بن حبيب أبو عمارة الكوفي، أحد القراء السبعة، توفي سنة(١٨٠ هـ)، ينظر إعراب القرآن/

النحاس: ١٠/٨٠٥.

(٥) البحر المحيط/أبي حيان الأندلسي: ٤٨٣/١٠.

(٦) البحر المحيط/أبي حيان الأندلسي: ٤٨٣/١٠.

(٧) صفوة التفاسير/الصابوني: ٣/٥٦٣.

٢- (جنائي الاشتقاق (ووالد وما ولد) فكل من الوالد والولد مشتقان من الولادة)^(١).

٣- (الاستفهام) الإنكاري للتوبيخ (أحسب أن لن يقدر عليه احد) ومثله (أحسب أن لن يره احد)^(٢).

٤- (الاستفهام التقديري للتذكير بالنعم (الم نجعل له عينين ولسان و شفتين)^(٣).

٥- قال محي الدين الدرويش:

(في قوله تعالى : (وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) استعاره تصريحية ، فقد استعار النجدين للخير والشر ، وحذف المشبه وهو الخير والشر ، وأبقى المشبه به)^(٤).

٦- الاستعارة كذلك في قوله (فَلَا أَفْتَحَمَ الْعُقَبَةَ) لأن أصل العقبة الطريق الوعر في الجبل ، واستعيرت هنا للأعمال الصالحة لأنها تصعب وتشق على النفوس ففيه استعارة تبعية)^(٥).

٧- (الاستفهام للتهويل والتعظيم (وما أدراك ما العقبة) لأن الغرض تعظيم شأنها)^(٦).

٨- (الجناس الناقص بين (مقربة) و(متربة) لتغير بعض الحروف)^(٧).

٩- (في قوله تعالى: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) و (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) خولف في التعبير

، فقد أشار إلى المؤمنين تكريماً لهم ، وأنهم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته ، وبمثابة الجالسين أمامه لا يعدوا الأمر أكثر من الإشارة إليهم بالبنان ، ثم استعمل لفظ الإشارة الدال على البعيد ، فلم يقل هؤلاء إيذاناً ببعده منزلتهم عنده ، ونيلهم شرف الحضوة والقرب منه ، أما الكافرون فقد ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى إنهم غائبون عن مقام تجلياته ، وسبحات في وضاته ، العجائب فتقديره)^(٨).

١٠- (مراعاة الفواصل و رؤوس الآيات مثل (لا اقسم بهذا البلد) و(ووالد وما ولد) و (لقد خلقنا الإنسان في

كبد) و(عينين ولسان و شفتين) وهو من المحسنات البديعية)^(٩).

(١)صفوة التفاسير/الصابوني: ٥٦٣/٣.

(٢)صفوة التفاسير/الصابوني: ٥٦٣/٣.

(٣) صفوة التفاسير/الصابوني: ٥٦٣/٣.

(٤)إعراب القرآن الكريم وبيانه/محي الدين الدرويش: ٣٢٤/٨.

(٥) صفوة التفاسير/الصابوني: ٥٦٤/٣.

(٦) صفوة التفاسير/الصابوني: ٥٦٤/٣.

(٧) صفوة التفاسير/الصابوني: ٥٦٤/٣.

(٨)إعراب القرآن الكريم وبيانه/محي الدين الدرويش: ٣٢٦/٨.

(٩) صفوة التفاسير/الصابوني: ٥٦٤/٣.

المطلب الثالث : المعنى العام :

قال سيد قطب (رحمه الله):

(تبدأ السورة بالتلويح بقسم عظيم ، على حقيقة في حياة الإنسان ثابتة : (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) والبلد هو مكة ، وبيت الله الحرام ، أول

بيت وضع للناس في الأرض ، ليكون مثابة لهم وأمناً يضعون عنده سلاحهم وخصوماتهم وعداوتهم ،

ويلتقون فيه مسالمين ، حراماً بعضهم على بعض كما إن البيت وشجره وطيره وكل حي فيه حرام ، ثم هو

بيت إبراهيم والد إسماعيل أبي العرب والمسلمين جميعاً^(١). وقال الزمخشري (رحمه الله)(ت٥٢٨هـ):

أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خُلِقَ مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد ، واعترض

بين القسم والمقسم عليه بقوله: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعني ومن المكابدة أنك مثلك على عظيم حرمتك يستحل

بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير المحرم ، يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدون بها شجراً

ويستحلون إخراجك وقتلك فيه تثبيت من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وبعض على احتمال ما كان يكابد

من اهل مكة وتعجب من حالهم في عداوته ، أو سلى رسول الله صل الله عليه وسلم بالقسم ببلده ، على إن

الإنسان لا يخلوا من مقاسات الشدائد ، واعتراض بأن وعده فتح مكة تنميماً للتسليية والتنفيس

عنه فقال: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعني: وأنت حلٌ بهذا البلد في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ،

وذلك أن الله فتح عليه مكة و أهلها له ما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرّم ما شاء^(٢).

(وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)

قال ابن كثير: (قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل فيه ، وكذا روي عن سعيد بن جبير و أبي صالح وعطية

والضحاك وقتادة والشدي ، وقال مجاهد : ما اصبت فيه فهو حلال

(١) في ضلال القرآن / سيد قطب ٥-٦ / ٣٩٠٨ ، ط دار الشروق .

(٢) ينظر الكشاف/الزمخشري:٤/٦٠١ ، ط الاستقامة - القاهرة - الطبعة الثانية .

وقال قتادة: (وَأَنْتَ جِلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال أنت به من حرج واثم ، وقال الحسن البصري : أحلها الله له ساعة من نهار ، وهذا المعنى الذي قالوه ورد في الحديث المتفق على صحته (أن هذا البلد حرم الله يوم خلق السموات الأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب)^(١). وفي لفظ آخر (فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم)^(٢).

وقال فخر الدين الرازي : وجوه في قوله تعالى: (وَ أَنْتَ جِلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ).

(احدها: وأنت مقيم بهذا البلد نازل فيه حالاً به ، كأنه تعالى قد عظم مكة من جهة أنه عليه الصلاة والسلام مقيمٌ بها ، وثانيهما: الحل بمعنى الحلال أي أن الكفار يحترمون هذا البلد ولا ينتهكون فيه الحرمات ثم أنهم من ذلك ومع إكرام الله تعالى إياك بالنبوة يستحيلون إيذاءك ولو تمكنوا منك لقتلوك فأنت حل لهم في اعتقادهم لا يرون لك من الحرمة ما يرون لغيرك ، وثالثهما: أي لست بأثم ، و حلالٌ لك أن تقتل بمكة من شئت)^(٣).

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء: دخل رسول الله رسول الله (ﷺ) في أخريات الناس ،

ونادى مناد من أغلق داره عليه وكف يده فإنه آمن ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام نازلاً بذي طوى ،

فأمرهم فأدخلوا الخيل من ذي طوى من أسفل مكة ، واستحر القتل ببني بكر ، فأحل الله له مكة ساعة من نهار^(٤).

(١)الحديث.

(٢)تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ٣٥٣/٤.

(٣)التفسير الكبير / فخر الدين الرازي: ١٦٣/١٧.

(٤)ينظر سير أعلام النبلاء/ الذهبي : ٤٠١/٤.

(وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ)

قال القرطبي في هذه الآية:

(ووالد) آدم عليه السلام (وما ولد) أي وما نسل من ولده ، أقسم بهم لأنهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض ، لما فيهم من التبيان والنطق والتدبير ، وفيهم الأنبياء والدعاة الى الله تعالى ، وقيل الوالد إبراهيم ، وما ولد ذريته ، وقيل هو بأقسام بآدم والصالحين من ذريته ، وأما غير الصالحين فأنهم كالبهائم^(١) .
وذكر السيد قطب في هذه الآية: (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ) .

(ثم أقسم بولدٍ وما ولد ، ليلفت نظرنا الى رفعة قدر الطور من أطوار الوجود وهو طور التولد ، و إلى ما فيه من بالغ الحكمة وإتقان الصنع ، وإلى ما يعانیه الوالد والمولود في إبداء النشيء وتكميل الناشيء ، وإبلاغه حد

النمو المقدور له)^(٢) وقال ابن كثير في هذه الآية: (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ) . عن ابن عباس الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ، قال عكرمة: الوالد العاقر وما ولد الذي يلد ، وقال مجاهد وقتادة والضحاك والحسن البصري وأدي وغيرهم أن المقصور بـ(وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ) وما ولد ولده لأن الله تعالى لما أقسم بأمر المساكين مكة أقسم بعده بالمساكين وهو آدم وولده^(٣) .

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)

قال الشوكاني في فتح القدير:

هذا جواب القسم ، والإنسان هو النوع الإنساني ، والكبد والمشقة والشدة ، يقال كابدت الأمر: قاسيت شدته ، والإنسان لا يزال يكابد الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت ، و أصل الكبد الشدة ، ومنه تكبد اللبن ، إذا غلظ واشتد ، ويقال كبد الرجل ، إذا وجعته كبده ثم استعمل في كل شدة ومشقة ، وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، ويكابد الشكر على السراء ويكابد على الضراء^(٤) .

(١) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي: ٣٠٩/١٠ .

(٢) في ظلال القرآن/سيد قطب: ٣٩٠٩/٦-٥ .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم/ابن كثير: ٤٧٩/٤ .

(٤) ينظر فتح القدير/الشوكاني: ٥٤٤/٥ .

وذكر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) في قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) أي خلقناه اطواراً كلها مشقة وشدة تارة في بطن أمه ، ثم زمان الرضاعة ، ثم إذا بلغ في تحصيل المعاش ، ثم بعد ذلك الموت ، ومسألة الملك وظلمة القبر ، ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به القرار أما إلى الجنة وأما إلى النار (١).

(أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ)

قال السيد قطب (ت ١٩٦٦ م) في الآية:

(أن هذا الانسان المخلوق في كبد ، الذي لا يخلص من عناء الكدح والكد ، لينسى حقيقة حاله وينخدع بما يعطيه خالقه من أطراف القوة والقدرة والوجدان والمتاع ، فيتصرف تصرف الذي يحسب أنه مأخوذ بعلمه ، ولا يتوقع أن يقدر عليه قادر فيحاسبه .. فيطغى ويبطش ويسلب وينهب ويجمع ويكثر ، ويفسق ويفخر ، دون أن يخشى ودون أن يتحرج ، وهذه هي صفة الإنسان الذي يعرى قلبه من الايمان ، ثم أنه إذا دعي للخير والبذل (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا) وانفقت شيئاً كثيراً فحسب بما أنفقت وما بذلت (أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) وينسى أن عين الله عليه ، و أن علمه محيط به ، فهو يرى ما أنفق ، ولماذا انفق؟ ولكن هذا (الانسان) كأنما ينسى هذه الحقيقة ، ويحسب أنه في خفاء من عين الله) (٢).

وذكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في هذه الآية:

(قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) أي أبيضن ابن آدم أن لن يعاقبه الله عز وجل (يَقُولُ أَهْلَكْتُ) أي أنفقت (مَالًا لُبَدًا) أي كثيراً مجتمعاً (أَيَحْسَبُ) أي أبيضن (أَنْ لَمْ يَرَهُ) أي أن لم يعانيه (أَحَدٌ) بل علم الله عز وجل منه فكان كاذباً في قوله: أهلكت ولم يكن أنفقه وروي عن أبو هريرة قال: يوقف العبد فيقال ماذا عملت في المال الذي رزقتك؟ فيقول انفقته وزكيتته ، فيقال كأنك إنما فعلت ذلك ليقال سخي ، فقد قيل ذلك ، ثم يؤمر به في النار) (٣).

(١) ينظر التفسير الكبير/فخر الدين الرازي: ١٦/١٦٥.

(٢) في ظلال القرآن/سيد قطب: ٥-٦/٣٩١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن/القرطبي: ١٠/٣١٢.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ)

قال القرطبي(ت٦٧١هـ) في تفسير هذه الآية:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ) يبصر بهما (وَلِسَانًا) ينطق به (وَشَفَتَيْنِ) يستر بهما ثغره ، والمعنى نحن فعلنا ذلك ، ونحن نقدر على أن نبعثه ونحصي عليه ما عمله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) يعني الطريقين : طريق الخير والشر ، أي بيناهما له بما أرسلناه من الرسل ، والنجد الطريق في ارتفاع ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وروى قتادة قال : ذكر لنا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول (أيها الناس ، إنما هما النجدان : نجد الخير ، ونجد الشر ، فلم تجعل نجد الشر أحب إليك من نجد الخير^(١)) وروى عن عكرمة قال النجدان: الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك ، وروى عن ابن عباس وعلي (رضي الله عنهما) لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه^(٢)).

وذكر فخر الدين الرازي(ت٦٠٤هـ) في هذه الآية:

(أن من قدر على أن يخلق من الماء المهين قلباً عقولاً ولساناً قولاً، فهو على هلاك ما خلق قادر ، وبما يخفيه المخلوق عالم ،فما العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه ، وما الحجة في الكفر بالله من تظاهر نعمه ، وما العلم في التعزيزات على الله وعلى أنصار دينه بالمال وهو المعطي له وهو الممكن من الانتفاع به^(٣)).

وقال الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال سبيل الخير والشر ، وروى عن ابن عباس أن النجدين الهدى والضلالة^(٤)).

(١) ذكره السيوطي في الدرر المنثور : ٣٥٣/٦. من رواية عبدالرزاق ، وعبدالله حميد ، وابن جرير ، وابن مردويه .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي: ٣١٢/١٠.

(٣) التفسير الكبير / فخر الدين الرازي: ١٦٧/١٦.

(٤) ينظر فتح القدير/ الشوكاني: ٥٥٨/٥.

(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨))

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) :

(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) أي دخل العقبة قال جبل في جهنم ، وقال كعب الأحبار هو سبعون درجة في جهنم ، وقال الحسن البصري قال عقبة في جهنم ، وقال قتادة : إنها عقبة مقحمة شديدة فأقحموها بطاعة الله تعالى ، قال قتادة

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) ثم اخبر تعالى عن اقتحامها فقال تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ)

وقوله تعالى : (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) ، قال ابن عباس: ذي مجاعة وكذا قال عكرمة و مجاهد

والضحاك ، وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقوله تعالى : (يَتِيمًا) أي أطعم فيه مثل هذا اليوم

يتيمًا (ذَا مَقْرَبَةٍ) أي ذا قرابة منك^(١) ، روي الامام أحمد عن النبي عليه الصلاة السلام قال: (الصدقة على

المساكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة) .

وقوله تعالى : (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) أي فقيراً مدقماً لاصقاً بالتراب ، وهو الدقعاء ايضا ، قال ابن عباس(ذا

مَتْرَبَةٍ) هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ، قال بن أبي حاتم : يعني الغريب

عن وطنه ، قال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج ، وقيل هو من لا أحد له وهو ذو العيال^(٢) .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم/ابن كثير: ٣٥٧/١٤ .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم/ابن كثير: ٣٦١/١٤ .

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا)

ذكر ابن حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) في الآية ما يلي:

هذا معطوف على قوله (فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) ودخلت ثم لتراخي الإيمان والفضيلة ، لا للتراخي في الزمان ، لأنه لا بد أن يسبق تلك الأعمال الحسنة الإيمان ، إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع ، أو يكون المعنى : ثم كان في عاقبة أمره من الذين وافوا الموت على الإيمان ، إذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات ، أو يكون التراخي في الذكر كأنه قيل: ثم اذكر أنه كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر ، أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والطاعات والمعاصي (و تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) أي بالتعاطف والتراحم ، أو بما يؤدي إلى رحمة الله^(١).

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)

قال السيد قطب في هذه الآية:

(و أولئك الذين يقتحمون العقبة كما وصفها القرآن وحددها (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) وهم اصحاب اليمين كما جاء في مواضع أخرى ، أو انهم أصحاب اليمين والحظ والسعادة ، وكلا المعنيين متصل في مفهوم الإيمان^(٢)).

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) قال القرطبي (ت ٦٧١هـ):

أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ، وقيل لأن منزلتهم عن اليمين^(٣).
(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)

ذكر الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ):

(أي أصحاب الشمال ، أو أصحاب الشؤم ، أو الذين يعطون كتبهم بشمالهم ، أو غير ذلك مما تقدم ، (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ) أي مطبقة مغلقة ، وقال آصدت الباب) و أوصدته إذا أغلقته وأطبقتة^(٤) ، (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ) يعني ابوابها مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح أبد الآباد ، وقيل إحاطة النيران بهم^(٥).

(١) البحر المحيط/ ابو حيان الأندلسي: ٤٨٣/١٠.

(٢) في ضلال القرآن/سيد قطب: ٥-٦/٣٩١٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: ٣١٨/١٠.

(٤) فتح القدير/الشوكاني: ٥٥٧/٥.

(٥) التفسير الكبير/الرازي: ١٦/١٧٠.

المطلب الرابع: اللطائف التفسيرية:

(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)

قال الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) (لرحمه الله):

أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد ، واعتراض بين القسم والمقسم عليه بقوله : (وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحيل بهذا

البلد الحرام كما يستحيل الصيد في غير الحرم ، عن شرحبيل: يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك و فيه تثبيت من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله ﷺ بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعتراض بأن وعده فتح مكة تتماماً للتسليّة و التنفيس عنه فقال و أنت حل بهذا البلد يعني: و أنت حلٌ في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ، وذلك أن الله فتح عليه مكة و أهلها له وما فتحت على أحد ولا أحلت له فأحل ما شاء و حرم ما شاء^(١).

(وَ أَنْتَ حِلٌّ) (في معنى الاستقبال ونضيره (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)^(٢) ومثله واسع في كلام العباد وفي كلام الله وأوسع لأن الأحوال المستقبلية عنده كالحاصلة والدليل على أنه للاستقبال و أن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية)^(٣).

(وَ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) في هذه الآية:

فاعلم أن هذا معطوف على قوله (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) وقوله (وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) معترض بين المعطوف والمعطوف عليه ، و للمفسرين فيه وجوه ، أحدها: والولد آدم ، وما ولد ذريته ، أقسم بهم إذ هم من أعجب خلق الله على وجه الأرض ، لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الأنبياء ، والدعاة إلى الله تعالى والأنصار لدينه، وكل ما في الأرض مخلوق مهم وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلم آدم الأسماء كلها ، وقد قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)^(٤).

(١) الكشاف/ الزمخشري: ٦٠١/٤.

(٢) سورة الزمر آية: ٣٠.

(٣) الكشاف/ الزمخشري: ٦٠٢/٤.

(٤) سورة الاسراء آية: ٢٠.

فسيكون القسم بجميع الأدميين صالحهم وطالحهم ، لما ذكرنا من ظهور العجائب في هذه البنية والتركيب ، وقيل هو قسم بآدم والصالحين من أولاده بناءً على أن الصالحين كأنهم ليسوا من أولاده و كأنهم بهائم كما قال تعالى : (إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)^(١) وقال تعالى : (ضُمَّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)^(٢) .^(٣)

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) ذكر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤هـ) في تفسير هذه الآية ما يلي:

(وهو أنه ليس في هذه الدنيا لذة البتة ، بل ذاك يظن به أنه لذة فهو خلاص عن الألم ، فإن ما يخيل من اللذة عند الأكل فهو خلاص عند ألم الجوع ، وما يتخيل من اللذات عند الملبس فهو خلاص من ألم البرد والحر ، فليس للإنسان إلا ألم او خلاص عن الم و انتقال إلى آخر ، فهذا معنى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) ويظهر منه أنه لا بد للإنسان من البعث والقيامة ، لأن الحكيم الذي دبر خلقة الإنسان إن كان مطلوبة منه أن يتألم ، فهذا

لا يليق بالرحمة ، أن كان مطلوبة أن لا يتألم ولا يلتذ ، ففي تركه على العدم كفاية في هذا المطلوب ، وأن كان مطلوبة أن يلتذ ، فقد بينا أنه ليس في هذه الدنيا لذة ، وأنه خلق الإنسان في هذه الدنيا في كبد ومشقة ومنحة ، فإذا لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى لتكون تلك الدار دار السعادات واللذات والكرامات)^(٤).

(أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) قال فخر الدين الرازي(ت٦٠٤هـ):

(اعلم أنا إن فسرنا الكبد بالشدّة في القوة ، فالمعنى أَيْحَسَبُ ذلك الانسان الشديد لشدته لا يقدر عليه أحد ، وإن فسرنا المحنة والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب، كأنه يقول وهي أن الإنسان كان في النعمة والقدرة ، افيظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد ، ثم اختلفوا فقال بعضهم: لن يقدر على بعثه ومجازاته فكأن خطاب من أنكر البعث ، وقال آخرون المراد لن يقدر على تغيير أحواله ظناً منه اقوى على الأمور لا يدافع عن مراده وقوله (أَيْحَسَبُ) استفهام على سبيل انكار)^(٥).

(١)سورة الفرقان آية:٤٤ .

(٢)سورة البقرة آية:١٨ .

(٣)التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي:١٦/١٦٤ .

(٤) التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي:١٦/١٦٥ .

(٥) التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي:١٦/١٦٥ .

(يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا) (أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) قال سيد قطب:

ثم أنه إذا دعي للخير والبدل (في مثل هذه المواضع التي ورد ذكرها في السورة) يقول (أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا) وانفقت شيئاً كثيراً فحسبي ما أنفقت وبذلك: (أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ)؟ وينسى أن عين الله عليه ، وأن عمله محيط به ، فهو يرى ما أنفق ولماذا أنفق؟ ولكن هذا (الإنسان) كأنما ينسى هذه الحقيقة ، ويحسب أنه في خفاء عن عين الله^(١).

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)

قال فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) في هذه الآيات:

ان من قدر على أن يخلق من الماء المهين قلباً عقولاً ولساناً قولاً ، فهو على اهلاك ما خلق قادر ، وبما يخفيه المخلوق عالم، فما العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه وما الحجة في الكفر بالله من تظاهر النعمة، وما العلة في التعزيز على الله وعلى انصار دينه بالمال وهو المعطي له ، وهو الممكن الانتفاع به^(٣).

(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال فخر الدين الرازي:

أن في الآية إشكالاً وهو أنه قلما توجد لا الداخلة على المضي إلا مكررة، تقول لا جنبي ولا بعدي قال تعالى: (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى)^(٤)، وفي هذه الآية ما جاء التكرير فما السبب فيه؟ أجيب عنه بوجه: الأول قيل: قيل إنها مكررة بالمعنى لان معنى (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) فلا فك رقبة ولا إطعام مسكيناً ، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك ، وقوله (تَمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) يدل ايضاً على معنى (فلا اقتحم العقبة) ولا آمن ، والرأي الثاني: قيل معنى (فلا اقتحم العقبة) لم يقتحمها، وإذا كانت لا بمعنى لم كان التكرير غير واجب كما كان التكرير مع لم ، فإن تكررت في مواضع نحو(فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى)فهو كتكرر ولم، نحو (لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا)^(٥) .^(٦)

(١)التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي: ١٦٦/١٦ .

(٢) في ظلال القرآن/سيد قطب: ٥-٦/٣٩١٠ .

(٣) التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي : ١٦٧/١٦ .

(٤)سورة القيامة آية: ٣١ .

(٥)سورة الفرقان/آية: ٦٧ .

(٦)التفسير الكبير/فخر الدين الرازي: ١٦٧/١٦ .

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)

اشار الى المؤمنين تكريماً لهم ، و أنهم حاضرون عند الله تعالى في مقام كرامته ، وبمثابة الجالسين أمامه لا يعدوا الأمر اكثر من الاشارة إليهم بالبنان ، ثم استعمل لفظ الاشارة الدال على البعيد ، فلم يقل هؤلاء أيداناً ببعده منزلتهم عنده، ونيلهم شرف الحضوة والقرب منه ، أما الكافرون فقد ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم عائبون عن مقام تجلياته وسبحات فيوضاته ، و أنهم لا يستأهلون أن يمتوا إليه ولو بأوهن الأسباب ، وهذا من العجب العجاب فتدبره^(١).

(١) اعراب القرآن وبيانه/الدرويش: ٣٢٦/٨.

الخاتمة

- ١- أن القسمة بالمخلوقات هو بالحقيقة قسمٌ نخالقتها لأن الخالق سبحانه هو الذي أوجدها ووضع فيها الشرف والفضيلة.
- ٢- إن قدرة الله وعلمه وحكمته وجميل صنعها يظهر على مخلوقاته.
- ٣- أن الله سبحانه وتعالى هو الواهب الوحيد والقادر على أن يعطي ويمنع ويعز ويذل بيده الخير وهو على كل شيء قدير.
- ٤- أن مكة ذو منزلة عظيمة وشرف كبير وازدادت عظمتها وشرفاً بالنبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)
- ٥- أن القوم الكافرين لا يعرفون شرف مكة وعظمتها وهم كاذبون في إدعائهم إن ملكة حرمةً وشرفاً أن يصابن قد آذوا واعندوا على خير خلق الله وأحلوا دمه وهو في مكة.
- ٦- إن جميع الخلق وجدوا بقدرة الله تعالى في الخلق والابداع وهو سبحانه الذي وهبهم الحياة عن طريق النوالد وأن أصلهم واحد فلا فرق بين البشر فكلهم خلق الله إلا بقدر قوتهم وإبتعادهم عن الله.
- ٧- إن الإنسان في هذه الحياة في لهمة مسنمة مليئة بالنعب والجهد والبلاء فلا يتوقع الراحة في هذه الحياة الدنيا فليس فيها نعيم أبداً.
- ٨- على الإنسان أن يستغل وجوده في هذه الحياة ليعمل من أجل الحياة الآخرة فهي الأجدد أن يضعها في حساباته لأن مستقبله فيها وهي الباقية.
- ٩- إن الإنسان من بنصورات خاطئة ويظن في لحظة ما إنه يملك القوة والقدرة على تحديد مسار الحياة والنصرف فيها كما يشاء.

١٠- على الإنسان أن يندكر ولا ينسى أبداً أن كل ما في نفسه من نعم وما بين يديه من هبة من الله سبحانه أن يسلبها من في أي لحظة يشاء.

١١- أن الله سبحانه وتعالى قد تعامل من الإنسان في منهي العدل ولم يظلمه أبداً حيث بين له طريق النجاة وطريق الهلاك وأعطاه القدرة على اختيار الطريق الصحيح من خلال الأعضاء والأدوات التي يستطيع أن يميزها بين طريق النجاة وطريق الهلاك ومنحه الفرصة الكاملة في ذلك.

١٢- إن الإنسان لم يستطع على الاغلب أن ينجو وزحبه للحياة الدنيا ويذرهما جانباً وتحت الخطي إلى الحياة الآخرة مسرعين بالله، وما أعطاه من نعم يستطع من خلالها أن يصل إلى هدفه المنشود.

١٣- إن عدم تجاهل الإنسان لحقيقته وأن النعم التي بين يديه هي من فضل الله سبحانه وعدم البخل على اليتامى والمساكين والفقراء والمحتاجين والإنفاق عليهم في سبيل الله هو من الطرق الواضحة التي توصل الإنسان المؤمن إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار.

١٤- إن أفضل الأنفاق والصدقة هو الذي يكون على المجازين في الزمان الصعب وخاصة على الأقارب والضعفاء.

١٥- إن الفرد له دور عظيم في بناء المجتمع المسلم فإذا ما استغل الفرد نعم الله عليه في مساعدة مجتمعه فإن ذلك المجتمع ينوحي بالصبر وبالمحبة.

١٦- إن العمل الصالح المرضي عند الله يريد الإيمان والصبر والرحمة ثمرة من ثمرات الإيمان وأن المؤمن لا بد له من الصبر والمحبة لينتجى العقبات التي تحول بينه وبين الجنة.

١٧- إن التدكير بالصبر والمحبة هو من واجبات أفراد المجتمع المؤمن وهو عمل جماعي وهو من صفات المجتمع الإيمانى القويم.

١٨- إن المنصفين بالإيمان والصبر والمرحمة هم الذين استطاعوا أن ينجوا من العقبات ليصبحوا من أصحاب الجنة بالقرب من الله وفي ضلال رحمنه.

١٩- والذين لم يؤمنوا ولم ينووا صواب الصبر وبالمرحمة بعيدون عن الله ورحمنه فهم أصحاب النار بأقتيادهم لنصوراتهم الخاطئة وتناسيهم خالقهم ونعمة عليهم وتعاليمهم على الخلق وعدم مساعدتهم والإقنار عليهم.

٢٠- أن الإنسان في نهاية هذه الرحلة المنعقدة الشاقة أمام أمرين لا ثالث لهما إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن كان إلى النعيم بفضل من الله ورحمة وأن كان إلى العذاب فلا يلوم من إلا نفسه التي صورت له الأمور على غير حقيقتها فأطاعها، ولم يتجاهدها بالإيمان والصبر وشكر الخالق عز وجل على نعمته وفضله.

المصادر

القرآن الكريم

- ١- الأتقان في علوم القرآن/ للحفاظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي(٨٤٩_٩١١هـ)، تحقيق إ.د. محمود أحمد القيسي (الجزء الثالث) الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، د. محمد أشرف سيد سليمان الأتاشي ، مؤسسة بغداد.
- ٢- إعراب القرآن وبيانه/ محيي الدين الدرويش(المجلد الثامن ، مطبعة اليمامة – دمشق – بيروت).
- ٣- إعراب القرآن / لأبي جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت٣٣٨هـ)الجزء الثالث ،تحقيق الدكتور زهير غازي زاهر(الكتاب الرابع والثلاثون – مطبعة العاني – بغداد).
- ٤- الأعلام/ خير الدين الزركلي (الجزء الثالث ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان).
- ٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩٢هـ)(المجلد الثالث ، طباعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان).
- ٦- البحر المحيط في التفسير/ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي(٦٥٤-٧٥٤هـ)(الجزء العاشر-مطبعة دار الفكر).
- ٧- بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز ، اعداد بهجت عبدالواحد الشبخلي (المجلد العاشر ، مكتبة دنديس).
- ٨- التحرير والتنوير / محمد بن عاشور(الجزء الثلاثون ، مطبعة الدار التونسية للنشر ، الجماهيرية الليبية للنشر).
- ٩- تفسير القرآن العظيم/ للحافظ عماد الدين الفراء اسماعيل ابن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ) تحقيق/ مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد/المجلد الرابع عشر – دار عالم الكتب.
- ١٠- التفسير الكبير/ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي(٥٥٤-٦٠٤هـ)(المجلد السادس عشر، منشورات محمد علي بيوض ، مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان).
- ١١- الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي/ (ت٦٧١هـ) ، راجعه، دكتور محمد الخضراوي ، وخرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان (المجلد العاشر ، مطبعة دار الحديث – القاهرة).
- ١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / للعلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي(ت١٢٧هـ) مفتي بغداد ومرجع اهل العراق ، قرأه وصححه محمد حسين العرب.

١٣- سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) (الجزء ٥-٦ ، مطبعة دار الشروق).

١٤- سير أعلام النبلاء/ شمس الدير محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)(مطبعة الصفا).

١٥- صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني (المجلد الثالث ، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

١٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفاسير ، تأليف الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ) ضبطه وصححه احمد بن عبدالسلام(الجزء الخامس/ طباعة دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان).

١٧- الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / محمود بن عبدالعزيز الزمخشري(ت ٥٢٨هـ)رتبه وضبطه وصححه مصطفى احمد السيد (الجزء الرابع ، مطبعة الاستقامة - القاهرة).

١٨- لباب التأويل في معاني التنزيل / للإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت ٧٢٥هـ)، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد علي شاهين (الجزء السادس ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان).

١٩- مؤسسة أعلام الفكر الإسلامي / إشراف وتقديم محمد مهدي زقزوق (الجزء الثالث ، القاهرة ١٤٢٥هـ ، ٢٠٤م).

٢٠- مباحث في علوم القرآن/ مناع القطان ، الطبعة الحادية والعشرون ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م مطبعة مؤسسة الرسالة .

٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن/ الشيخ ابو علي الفضل بن حسن الطريسي (الجزء التاسع ، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان).

٢٢- مختار الصحاح / محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ)(نشر دار الرسالة - الكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٢٣- المفردات في غريب القرآن/ ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق محمد سعيد الكيلاني ، شركة ومطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.

٢٤- نظم الدرر في نظم الآيات والسور/ للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي

(ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) (الجزء الثاني والعشرين - الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م - مطبعة ابن تيمية - القاهرة).